

مداخلة د. غسان العطية في المناقشات

حول بحث «الخطاب السياسي والاعلامي لدى الحكومات والنخب وتأثير ذلك على العلاقات العربية-الایرانية»

في ندوة العلاقات العربية - الایرانية

رغم اهمية البعد الاعلامي في دراسة العلاقات العربية-الایرانية، الا ان الورقتين كانتا بعيدتان عن اعطاء الموضوع حقه، خاصة بحث الاستاذ هويدي الذي اقتصر على نماذج من الاعلام المصري فقط.

ان الاعلام العربي هو بالاساس اعلام رسمي او شبه رسمي تابع وليس رائد وبالتالي يعكس الموقف الحكومي كما تبين من بحث الاستاذ هويدي.

انعكس غياب الديمقراطية في النظامين العربي والایراني ولو بدرجات متفاوتة، على الخطاب الرسمي الذي بات احاديا في خدمة النظام. واصبح هذا الاعلام اكثر ضجيجا الا انه لم يكن بالضرورة اكثر انطباقا مع الرأي العام الشعبي، ان لم يكن منفرا له.

وعليه هناك حاجة لدراسة الاعلام والخطاب السياسي العربي والایراني المعارض ودورها في العلاقات العربية الایرانية. فرغم ضيق الفسحة الاعلامية لهذا الخطاب في البلاد العربية او ايران الا ان صوت المعارضات السياسية العربية لها ادوات تعبير -رغم محدوديتها- منتشرة في خارج البلاد العربية او في دول عربية حاضنة لتلك لمعارضة. كما للمعارضات الایرانية خطابها الخاص في داخل ايران وخارجها.

ان تصاعد تأثير الدور الایراني في البلاد العربية بعد الثورة الاسلامية في ايران انعكس على الشارع العربي وتنظيماته السياسية. واذا كانت ايران الشاه تعاملت مع العرب من خلال الاجهزة الرسمية، فان حكومة الثورة الاسلامية في ايران اعطت للبعد الشعبي دورا جديدا ومهما في بلورة العلاقات العربية-الایرانية. الامر الذي انعكس على التنظيمات الحزبية السياسية المعارضة، خاصة الاسلامية منها، في البلاد العربية.

ويمكن القول بان الخطاب السياسي للثورة الایرانية بات مسموعا وذا تأثير على الشارع العربي اكثر بكثير من تأثير الخطاب العربي على الشارع الایراني. بما يذكرنا بتأثير الخطاب الناصري العربي في الشارع الایراني في الخمسينات والستينات.

ان الشارع العربي والایراني استجاب وتفاعل مع الخطاب الناصري والاسلامي كحالة رفض تحررية تجاوزت الحدود القومية للعربي او الفارسي.

ولكن في الحديث عن التنظيمات السياسية العربية المعارضة نلاحظ انها معنية بالدرجة الاولى بالحالة الخاصة في اقطارها، وتعاملت مع ايران بقدر اثر الخطاب السياسي الايراني على اهدافها وبرامجها السياسية. . ونظرا لتصاعد التيار الاسلامي المعارض في البلاد العربية، كان من الطبيعي ان تسعى ايران لمد الجسور مع هذا التيار- كالمعارضة الاسلامية في شمال افريقيا- دون ان يؤدي ذلك الى تبعية هذا التيار لهذه الدولة.

ولكن في الدول العربية ذات الانظمة الشمولية يلاحظ اعتماد هذه الدول سياسة التبادل المشترك للمعارضة، وكلا النظامين يوظف المعارضة اللاجئة لخدمة اهدافه.

من هذا المنطلق اود الاشارة الى طبيعة الخطاب السياسي والاعلامي للمعارضة العراقية اللاجئة في ايران.

ان سياسة الاضطهاد والتمييز الطائفي للنظام الحاكم في بغداد دفعت بالالاف من العراقيين للهجرة الى ايران وجاءت الحرب العراقية الايرانية لتعزيز النهج الطائفي للنظام الحاكم في العراق.

في ظل ظروف الحرب والتهجير تبنت القوى السياسية العراقية اللاجئة لايران، واغلبها عربية شيعية، اطروحات النظام الايراني برفع شعار الثورة الاسلامية وتبنت المواقف الرسمية للدولة الايرانية لحد تشكيل قوات عسكرية تحارب الى جانب الجيش الايراني ضد العراق.

وبأسم الثورة الاسلامية تمحست التنظيمات السياسية العراقية اللاجئة في ايران لأي انتصار عسكري إيراني من منطلق وحدة الثورة الاسلامية وتجاوزها للحدود القومية بأمل ان يكون ذلك خطوة في سبيل اسقاط النظام الحاكم في بغداد. وذهب البعض منهم للدعوة للوحدة بين ايران وعراق المستقبل في دولة واحدة.

ان هذا الحماس للثورة الايرانية الى حد تمني انتصارها العسكري على عراق صدام حسين كان مدفوعا بأمل ان تؤدي الحرب الى اسقاط النظام الحاكم في بغداد، اكثر من كونه مدفوعا بقناعة عقائدية اسلامية او غيرها. وما يؤكد هذه الحقيقة هو ان عددا من هذه التنظيمات الاسلامية العراقية تغير موقفها اليوم بعد حرب الكويت وبرز اتجاهات بين بعض الاوساط الايرانية الحاكمة باتجاه التطبيع والتعاون مع نظام صدام حسين في العراق.

لقد تراجع الخطاب الاسلامي الاممي السابق عند فصائل المعارضة العراقية الاسلامية في ايران لصالح خطاب سياسي ينادي بخصوصية عراقية في ظل عراق موحد مستقل.

ان تجربة السنوات الخمس الماضية جذرت عراقية الاسلاميين العراقيين في ايران، كما بلورت ايرانية الثورة الاسلامية في ايران.

ان دراسة تطور الخطاب الاسلامي الشيعي العراقي المعارض في تعامله مع ايران الاسلامية يقدم نموذجا لجدلية العلاقة بين القومي والاسلامي.